جامعة المنصورة
كليـة الآداب

التطبيق العملي للجدل في الفلسفة الماوية

إعـــداد
دكتور/ سعيد محمد محمد السقا
الأستاذ المساعد للفلسفة المعاصرة
بكلية التربية جامعة الإسكندرية
والقائم حاليًا بأعمال عميد كلية التربية
جامعة مطروح.

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثانى و الستون – يناير ٢٠١٨

التطبيق العملي للجدل في الفلسفة الماوية

د/ سعيد محمد محمد السقا

المقدمة:

نتناول هنا نموذجًا فلسفيًا عالميًا معاصرًا، كونته خبرات وتجارب عديدة وعريقة، تكاملت من أجل ترسيخ فلسفة تجاوزيه، تَنبُت من الواقع لتواجهه وتوجهه، أو فلنقل من أجل جعل الفكرالفلسفي هوأهم أدواتنا لتغيير الواقع المُعاش، فلا فائدة لفكر نظري لا يعود على المجتمع بالفائدة،أو لا يخدم المجتمع.

أهمية البحث:

وهنا تكمن أهمية ما تقدمه فلسفة " ماو تسي تونج "(*) الثورية، بكل ما تعنى كلمة ثورية، فهي ثورة على الفلسفات السابقة (وخصوصًا المثالية)؛ بل وعلى الفكر الماركسي السابق عليه.

وهي أيضًا فلسفة نقدية، تؤكد ضرورة الرجوع لبنية الواقع، وتحليل علاقات عناصره، ليس فقط من أجل إدراك الواقع، وتفسير مسار تطوره؛ بل أيضًا للإعداد الجيد لمواجهة مستجدات الواقع المستقبلية، من أجل تعديله بالممارسة العملية، أومجابهته؛ ليظهرالدور الإيجابي للفعل الإنساني الذي افتقدته الماركسية، ويفتقده الإنسان المعاصر؛ لمواجهة مستجدات الحداثة، وما بعد الحداثة.

وأخيرًا هي فلسفة عملية حيث عمد" ماو" لتطبيق مبادئ وأسس فلسفة "جدل المتضادات " على الفلسفة،والاقتصاد، والسياسة في جمهورية الصين الشعبية خلال فترة حكمه (١٩٤٩م– ١٩٧٦م) ؛ ليحقق لها النهضة المعاصرة .

لقد كانت الصين حتى منتصف القرن العشرين– بحسب قول الرئيس السابق لجمهورية الصين الوطنية (تايوان)" شيانج كاي شيك "[1]" شبه مستعمرة للسلطات الغربية، ولن تنجح بالتخلص من الاضطهاد المزدوج الذي تخضعها إليه الإمبريالية، والقادة الصينيون المنبطحون أمام الغرب، إلا إذا تضافرت جميع القوى الحية، في الأمة مع جهودنا لتحقيق الثورة الوطنية".[2]

إشكالية البحث:

١– من أين أتى" ماو" بفلسفة جدل المتضادات؟هل طورفكر" لينين "، و"أنجلز"؟ أم قرأ الواقع المعاش ببصيرة ثاقبة وذهنية فلسفية أفرزت تلك التعديلات التي أدخلها

(*) فيلسوف و زعيم صيني معاصر(١٨٩٣م – ١٩٧٦ م)، قاد نهضة الصين الشعبية المعاصرة، و كان وقتها رئيس وزراء الصين (١٩٤٩م – ١٩٧٦م)، و تعرف فلسفته بـ " الماوية " من بعد الفلسفة " اللينينية " و قبلهما " الماركسية " .

(١) شيانج كاي شيك أو تشانغ كاي شيك، بالصينية蔣中正 أو 蔣介石، بالإنجليزية Chiang Kai-shek ولد في 31 أكتوبر 1887 م وتوفي في 5 أبريل1975 م ، قائد سياسي وعسكري صيني، تولى رئاسة حزب الكومنتانج الوطني بعد وفاة صن يات سين عام ١٩٢٥م وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين الوطنية (تايوان) من عام ١٩٢٨ لعام ١٩٧٥م.

(2)Chiang Kai-Shek:"Soviet Russia In China: A Summing-Up At Seventy",Cudahy, Edition, ١٩٥٧.p.22.

علـــى الفلسفة،والاقتصـــاد السياســـي، والاشتراكية العالمية؟ فهو بدأ من فحص الواقع وتحليله؛ ليكشف عن فلسفة التضاد العملية.

٢- كيف استخلص" ماو" فلسفته من الواقع العملي؟وهل كان ذلك بالتحليل الفعلي لمعطيات الواقع المعاش؟أم بقراءة تحليلية فككت تداخل علاقات عناصر بنية هذا الواقع، ليستنبط قانون هذه العلاقات،ويضع أسس الممارسة، ومبادئ فلسفة جدل المتضادات العملية؟

٣- كيف استخدم "ماو " فلسفة جدل المتضادات لتغييرالواقع عمليًا؟ متجاوزًا بذلك حتمية أيديولوجية الفكر الماركسي. فانتقل بنا من حتمية الجدل المادي (الماركسي) إلى الانفتاح على الممكن، من خلال مواجهتنا لجدل المتضادات، واتخاذ اللازم والملائم في المستقبل لمواجهة احتمالاتها.

إن فهم الكل ييسر لنا معالجة الجزء، ولأن الجزء ينتمي في الأساس للكل، إذن فأهمية الشيء أو دلالته الحاسمة لا تحدد طبقًا للجزئيات، ولكن طبقًا لمدى إمكانية فهمنا لها، فماذا لو كانت مكونات هذا الكل يبدو بينها تضاد، هل يمكن التركيب والمزج بين هذه المتضادات؟ فعلى المستوى الطبيعي الفيزيقي، مثلًا نجد الماء يتكون من مركبين مختلفين هما الهيدروجين والأكسجين، فكلما كانت هناك علاقة أو رابطة بين ما يبدو متضادًا، أدى ذلك إلى التوحيد والاندماج.[٣] وفي موضع آخر يستنتج قائلًا:إن كافة القوانين المرشدة لفهم التضاد يتم استخلاصها من تاريخ الحياة الإنسانية بشقيها الاجتماعي والعلمي.[٤]

منهج البحث:

طبيعة الموضوع تستوجب استخدام كل من:المنهج السردي والتحليلي، والمنهج النقدي، وأحيانًا المنهج التحليلي المقارن.

خطة البحث:

تمهيد نتناول فيه:

التعريف بشخصية الفيلسوف والزعيم " ماو تسي تونج " وتكوينه ونضاله.

أولًا-ماهية فلسفة المتضادات وتطورهاعند " ماو".

ثانيًا-تجربة"ماو"التطبيقيةلمنطق جدل المتضادات.

التمهيد:

نشأة " ماو تسي تونج " وتكوينه ونضاله.[٥]

عند التحدث عن شخصية بحجم هذا الزعيم فلا بد من القول بأن" ماو تسي تونج " قيادة بارزة في التاريخ الحديث،وضع بصمة واضحة لبلاده في سجل القوى الكبرى.وربما كان الإنسان الأقوى في الصين منذ نشأتها. حكم" ماو" بأسلوب فريد، نحو مليارشخص في ذلك الوقت لمدة تزيد على الخمسة وعشرين عامًا،ولم يحكم أويسيطر على شعبه فقط؛ بل وعلى الأراضي التي كانوا يقيمون عليها، وهي تقدربنحو تسعة ملايين كيلومتر مربع.

(3)Mao Tse-Tung: "Problems of Strategy in China's Revolutionary War",1936, Beijing,1968 , p18.

(4)Stuart Reynolds Schram: "The Thought of Mao Tse-Tung" Cambridge University, Press, 1989, pp.13- 20.

(5)Ibid, pp 13 – 20.

النشأة: ولد"ماو "عام ١٨٩٣م لأسرة فقيرة تعمل بالزراعة، وقد شارك والده في العمل بزراعة الأرض.ويفخر"ماو"بذلك كثيرًا،واستمرعلى هذا الحال حتى سن السابعة عشرة حيث انتقل إلى المدرسة المتوسطة في" تشانج شا " عاصمة إقليم "هونان ".

وفي هذا العام اندلعت الثورة التي قادها ضد" صن يات سن "،وأطاحت بالحكومة، وقد ألقى القبض على "ماو". فترك دراسته والتحق بالجيش الثوري، وبدأ يدرس ويُعلم نفسه بنفسه في مكتبة إقليم "هونان"، واطلع على أعمال عدد كبير من العلماء والفلاسفة أمثال" إميل زولا "،" روسو"، " دارون "، وقبل أن ينفد ماله التحق بإحدى المدارس، وبها قرأ وأحب الأدب الصيني، خاصة قصص العصابات والأبطال، وبدأ يعتنى بلياقته البدنية، وصحته حيث اعتقد أن لبنيانه القوى دورًا كبيرًا في المستقبل،وبدلًا من أن يصبح مدرسًا بعد انتهاء الدراسةوذلك عام ١٩١٨م، ذهب إلى بكين،وعمل مساعدًا في مكتبة الجامعة مقابل أجر زهيد، وهناك وجد اثنين من أصدقائه:مديرالمكتبة " لي تاكوا "، وأستاذ الأدب" تش توهسوي" وكان الأخير يعتقد في الأفكارالإشتراكية المتطرفة، ثم بعد ذلك كونوا الحزب الشيوعي الصيني.

وكان التأسيس الحقيقي لهذا الحزب في٤مايو١٩١٩م، أوما يسمى بانتفاضة "مايو" عندما خرج آلاف الطلاب إلى الشوارع احتجاجًا على الامتيازالذي أعطيَ لليابان، بموجب مؤتمر باريس للسلام على بعض المناطق الصينية، وكان أعضاء الحزب آنذاك ٥٧ شخصًا، وغدا "ماو" السكرتير العام للحزب في " هونان"،وتضاعف أعضاء الحزب ليصلوا إلى٩٠٠ بحلول عام١٩٢٥م، وفي هذا العام شكل الحزب الصيني مع حزب الوطنيين حزبًا واحدًا هو"كومنتاج" و أصبح" ماو" عضوًا نشيطًا في هذا التحالف، وفَضل العمل السياسي وسط الفلاحين، وقد تولى رئاسة حزب " كومنتاج" الزعيم " تشيانج كاي شك " الذي أصدر أوامره عام ١٩٢٧م بتنفيذ مذبحة ضد الشيوعيين، والعمال المقاتلين في كافة المدن، ولهذا تم تطهيرالصين من هؤلاء لدرجة أن أعضاء الحزب الشيوعي تقلصوا ليصلوا إلى عشرة آلاف شخص مقابل٦٠ ألفًا قبل المذابح، وفي أثناء هذه المذابح اختفى" ماو" وأنصاره مدة عامين في الجبال، وبدأ الاستقرار السياسي يعُم في المناطق التي يسيطرعليها، وانهالت عليه الأموال من الضرائب وقام بتوزيع أراضي الملاك.

وفي فبراير ١٩٣٠م،وكان بمقدور" ماو" الإعلان عن حكومة إقليمية لجنوب غرب الاتحاد السوفيتي، ثم دارت الحروب بين " ماو"و " تشيانج " دون خاسرأو منتصر، وبعد فترة ألقي القبض على "تشيانج" من قبل أحد أفراد حزبه، وكان قد قرأ عن محاولات" ماو" لتوحيد الأحزاب المتناحرة، للوقوف في وجه اليابان،والغزو الياباني لشمال شرق الصين، وقد رفض" ماو" إعدام" تشيانج "،لكي يُثبت أن هزيمة اليابان تأتي على قائمة أولوياته. وبعد ذلك حدث تعاون بين" ماو "و" تشيانج " أثناء الحرب العالمية الثانية.

واستمر"ماو" يدير دفة الحكم بقوة منذ عام ١٩٤٩م حتى توفي عام ١٩٧٦م، وكانت السنوات الأخيرة من حياته قاسية ومؤلمة، فقد تواكبت عليه الأمراض بداية من١٩٧٢م،وتعرض جسمه للتدمير بسبب سوء التشخيص الطبي،وأخطاء العلاج الدوائي.وكان"ماو"صاحب مفاجآت،ومبادرات، منها: فتح أبواب الصين،وإجراء حوار مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تزوج "ماو" ثلاث مرات، وأنجب عددًا من الأبناء لم يستطع المؤرخون إحصاءهم بدقة.

أولًا–اهية فلسفة المتضادات وتطورها عند"ماو ".

لقد عرف الفكر الغربي فكرة المتضادات، في عدة مجالات أهمها اللغة، والفلسفة، والأدب للحد الذي يجعلنا نؤكد أن معظم المفكرين الغربيين المعاصرين يقرون بالتضاد كمبدأ أساسي للمعرفة، وللتمييز بين جميع الأشياء بدءً من الفكر، واللغة إلى باقي الموجودات.[٦] وبالمقارنة والتحليل للمفهوم الغربي هذا، وهو الذي يختلف عن مثيله لدى "ماو" الذي طور من مفهومه لفكرة المتضادات بشكل لم يلاحظه، ولا يعرفه الفكر الغربي، فلدى "ماو" للتضاد خصائص أهمها: الشمولية، والصيرورة، والتحول، والكلية والذاتية، وجميع تلك الخصائص لا تنفصل عن بعضها البعض داخل مفهوم التضاد؛ بل يُظهر فكر "ماو" مدى تواشج، وتكامل جميع هذه المفاهيم، والخصائص معًا مكونة جدل المتضادات.

ولتوضيح ماهية فلسفة المتضادات لدى" ماو"، نوجز أهم الأفكار التي توضح أهم أسسها، ومبادئها، والتي منها ما يلي: –

١– لم يكن" ماو " يرمي إلى بناء فلسفة نظرية جديدة، بل كان يرمي إلى بناء علم تربية بواسطة أمثلة، وطرائق جديدة مستمدة من الممارسة السياسية،والاجتماعية.[٧] فهو لم يزعم أنه يفكر للعالم أو يُعين تفكيره، ولا أنه يكشف عن قوانينه– فهذه مهمة العلم– وإنما كان هدفه تغييرالعالم، وبوجه خاص تغيير الصورة الأيديولوجية التي نكونها عنه. وبعبارة أخرى:إيجاد رؤية للعالم موائمة لمتطلبات العمل الثوري في الصين.[٨]

لذا سنركز اهتمامنا هنا على مقال" حول التضاد"، أو" في التضاد" الذي كتبه" ماو" في عام ١٩٣٧م بعد ابتداء الحرب اليابانية– الصينية، وبعد إن كان قد حذر قبل بضع سنوات من خطر المعرفة المجردة الخالصة؛ كي يكون الانطلاق من المعرفة الحسية للارتفاع على نحو فعال إلى المعرفة العقلانية، لتوجيه الممارسة الثورية على نحو فعال، أي: من أجل تحويل العالم الذاتي إلى عالم موضوعي. فمن خلال المعرفة نتوصل إلى الممارسة الفعلية(الأنسب، أوالحقيقية)، ثم من هذه الممارسة الحقيقية تتفتح، أوتصدر، وتنبع المعرفة

(٦) ميجان الرويلي: " قضايا نقدية ما بعد بنيوية " النادي الأدبي بالرياض، ١٩٩٦م، ص، ٢٦، ٢٧.

(7) K. T. Fann:" Mao and the Chinese Revolution in Philosophy ", studies in Soviet thought, Dordrecht – Holland: June1972, Volume 12,pp 111 – 12.

(8) Mao: 1968, Ibid.

الجديدة، وهكذا بشكل دوري لا نهاية له، وفي كل دورة يرتفع مضمون الممارسة، والمعرفة إلى مستوى أعلى (أرقى).[٩]

٢- إذن الحقيقة والمعرفة تأتيان من التطور والتحولات؛لأن المعرفة تعني: التحويل، وهذا يعني في خاتمة المطاف أننا لا نستطيع أن نعرف إلا ما نُحوله،فمثلًا:إذا كنا نريد معرفة بنية الذرة وخواصها،لا بد أن نقوم بتجارب فيزيائية وكيميائية؛ حتى نُغير حالة الذرة.[١٠] الأمر الذي يترتب عليه أن كل شيء عبارة عن صيرورة،قابل للتحويل،ودائم التطور.وعندما نسأل عن العلة الأساسية للتطورنكون قد أصبحنا في موضع القلب من مفهوم التضاد. فالقانون الأول للجدل المادي هو قانون التضاد الملازم للأشياء، والظاهرات،وهو المبدأ الذي يعيننا على تغيير العالم، ويدفعه لتحويله، بالعمل، والحركة،والثورة. بيد أن هذه الفكرة ليست جديدة،فهي الخط الهادي لكل الفكر الماركسي.[١١]

وبمقارنة هذه الفكرة العملية- ماهية الحقيقة وكيفية المعرفة لدى" ماو"- بما يُقابلها في الفكر الغربي، نجدها قد تبلورت في إطارنظري؛ ولكن بمنظورمختلف، فمثلًا:" كانط " يرى " أن الإنسان لا يعرف من الطبيعة إلا بقدرما يركب عقله، وبالتالي بقدرما يصنع فكريًا. . . وهكذا نعتبر أن المركز، والأساس هو العقل العارف، بدلًا من الأشياء.ثم نحاول بعد ذلك أن نتبين ما يستطيعه هذا العقل وما لا يستطيعه ".[١٢]

وهذا نفس ما تراه البنيوية بالنسبة للغة، فبقدر ما ندرك من تركيبات اللغة اللانهائية تكون معارفنا بما حولنا وبذواتنا،فاللغة بدلًا من العقل(لدى كانط)هي التي تُحدد،وتكون أفكارنا، ومعارفنا بمجرد ظهور تركيباتها.[١٣]

٣- أما" ماو" فقد رأى أن المتضادات تشمل الظواهرالاجتماعية، والتاريخية، بالإضافة إلى مجال العالم الطبيعي، وتضم أيضًا الممارسات السياسية الواعية، والمنظمة. وليست الشمولية هي الخاصية الوحيدة للمتضادات، فهناك أيضًا خواص أخرى مثل: وحدة المتضادات، والعلاقة بين المتضادات المتناحرة وغير المتناحرة[١٤].أما خاصية وحدة المتضادات عنده، فهي تعني تكامل كل زوجين متقابلين، يُعرّف كل منهما الآخرويُحدَّده الآخر.ويستشهد على ذلك

(9) Mao : 1968, p364.
(10) Mao: 1968, p354.

(١١) ماو تسى تونج : " حول التناقض " من مجموعة المؤلفات المختارة – المجلد ١ – الطبعة العربية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، عام ١٩٦٨م ، ص (٣٦٤) .

(١٢) نجيب بلدي: " دروس في تاريخ الفلسفة " إعداد الطاهر و عزيز – كمال عبد اللطيف ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م ، ص (١٠٤) ، و للمزيد يراجع : على عبد المعطى : " اتجاهات الفلسفة الحديثة " دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، عام ١٩٩٣ م ، ص (٣٩٧) ، و يراجع أيضاً : محمود زيدان " كنط و فلسفته النظرية " ط ٣ عام ١٩٧٩م دار المعارف بالإسكندرية ، ص (١٢٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥) .
عبد العزيز حموده : " المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك " سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٢٣٢) ، أبريل ١٩٩٨م ، ص (٢٤٩) .

(١٣)عبد العزيز حموده: " المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك " سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٣٢)، أبريل ١٩٩٨م، ص (٢٤٩).

(14)Mao:1968, p372.

بأمثلة:لا حياة بلا موت، ولا موت بلا حياة، ولا برجوازية بدون بروليتاريا ... وينطبق هذا على جميع المتضادات. ففي شروط محددة يتعارض كل تضاد مع الآخر من جهة،ومن الجهة الثانية يترابطان (أو يتكاملان)..وهذا ما يسمى بوحدة الهوية[١٥].

ويتفق الفكرالغربي هنا مع" ماو" في شمولية، ووحدة المتضادات، حيث يتساوى طرفا التضاد في الأهمية، ويتكاملان من حيث ضرورة ملازمة بعضهما، ولتميزهما عن بعض، وعن غيرهما معرفيًا،وبهذه القراءة المزدوجة تكون التفكيكية قد أنهت أولى خطواتها بنقل الجدل من القيمة المتحيزة (لطرف على الآخر)، إلى السمة المعرفية التي يتساوى فيها الطرفان[١٦].

فمثل هذه التقابلات الضدية هي صيغة كل بنية ابتداءً بالصوتيم، وانتهاءً ببنية الفكر، والثقافة.[١٧]

٤- تنظر الفلسفة الماوية إلى الظواهر المختلفة باعتبارها متحركة متحولة، ليست ثابتة على حال؛ فالحركة مطلقة والسكون مؤقت.وكان الفيلسوف اليوناني"هراقليدس"الذي وصفه "لينين"بأب الديالكتيك قد قال:" لا يمكنك أن تستحم في النهر الواحد مرتين". فالكون برأيه لم يخلقه أي إله، ولا أي إنسان كان، وهو كائن وسيكون، شعلة حية متوهجة أبدًا، تحترق وتنطفئ حسب قوانين محددة، فلا شيء ثابت غيرالتحول والتبدل.وعلى هذا النحو فإن التضاد الداخلي محدد أساسي في تطورالظواهر، أما العوامل الخارجية فتلعب دورًا ثانويًا،وهذا ما لا يقبله الفكر الميتافيزيقي،الذي دأب على تفسيرجميع التغيرات بواسطة علل خارجية؛ لأنه يجهل المتضادات الداخلية التي تكوّن الواقع وتدفعه إلى التغيير الكيفي.[١٨]

٥- من أين تنشأ هذه المتضادات؟ وما هو الباعث على تصاعدها؟ واحتدام الصراع فيما بينها؟ وما هو مصدرالمتضادات؟وما هو سبب تصاعد الصراع فيما بينها؟ يجيب الفلاسفة الماديون على هذا السؤال: بأن مصدرنشوء المتضادات، وتصاعدها، وتزايد الصراع فيما بينهاهوالسلوك الحر (أوالعشوائية)للفوتون(أصغروحدات الكون)، أي صفة الكون الأساسية في اللاسببية . فالسلوك الحر للكم يؤدى إلى نشوء الأشياء،أو الظواهرالمختلفة،أوعمليات تختلف في طبيعة خواصها بصورة متقابلة فتتكون بذلك الأضداد. فالأضداد هي الأشياء، أو الظواهر، أو العمليات التي تختلف في طبيعة خواصها بصورة متقابلة. فالاختلافات التي بين الأشياء هي التي تؤدى إلى تكون الأضداد، أما التقابل في هذه الاختلافات

(15)Mao:1968, p398.

(16)Jacques Derrida : " Positions " trans. Alan bass (Chicago:University of Chicago Press, 1981), PP 41-43.

(١٧)الرويلي: ١٩٩٦، ص ٢٧.

(١٨) فريدريك أنجلز: " أنتي دوهرنغ " الطبعة العربية، ترجمة فؤاد أيوب، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، ص (١٤٤- ١٤٥).

فهو الذي يُولد التضاد بين الضدين المتقابلين. فالتضاد هو العلاقة بين الأضداد. أما الأضداد فهي طرفي التضاد. واعتمادا على درجة الاختلاف في طبيعة وخواص الأضداد المتقابلة يتحدد كون التضاد تناحري أم غير تناحري، رئيسي أم ثانوي.[١٩]

٦- إن مصطلح " الماوية " يوضح أن إسهامات" ماو" ثمينة جدًا، و لا تقل قيمة عن مساهمات " ماركس،و لينين" و" الماوية " أكثر مناسبة من مصطلح" فكر ماو تسي تونج " للتعبير عن المرحلة الثالثة في تطوّرعلم الثورة البروليتارية. لذا فمن الأفضل استخدام " الماوية " بدلًا من فكر" ماو ".

لقد مثّلت إسهامات" ماو" قفزات نوعية في مكوّنات الماركسية الثلاث(هي الفلسفة،والاقتصاد السياسي،والاشتراكية العلمية)،رافعةالماركسية إلى مستوى أرقى مما تركه" ماركس،ولينين". والتي من أهمها ما يلي:

على مستوى الفلسفة:

أ- فقد أعطى" ماو" لقانون التضاد مجالًا أوسع من الشمولية؛ ليشمل المجتمع، والمعرفة الإنسانية بالإضافة للطبيعة.

ب- ثم طوّر فهم هذا القانون ليجعله جوهر المادية الجدلية.

جـ- من تحليله لقانون التضاد،وشرحه لفكرة التضاد الداخلي والخارجي،أوضح الفرق بين التضاد الرئيسي،والثانوي من جهة (خلال مراحل الصيرورة)،والتناقض الجوهري الذي هو أساس وجود الصيرورة (أوالأشياء) منذ البداية للنهاية، من جهة أخرى.

د- تطويره للنظرية المادية الجدلية للمعرفة، من حيث تركيزه على الممارسة باعتبارها المظهرالرئيسي، حين شرح نظرية المعرفة، وميّز بين القفزة من الممارسة (الواقعية) إلى النظرية، وبين القفزة من النظرية للممارسة(الجديدة والأرقى) .

هـ - لقد أخرج " ماو" الفلسفة من الكتب والمكتبات،وحرّرها من احتكارالفلاسفة و حوّلها إلى قوّة مادية(جماهيرية) نشيطة، تخدم أهداف المجتمع .

و- استنتج من تحليله الجدلي للعلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، تأثير كل منهما في الأخرى، واعتباره أن تأثير البنية التحتية في البنية الفوقية و تحدّيدها لطبيعتها هو المظهر الرئيسي .

أما على مستوى الاقتصاد السياسي:

أ- نجد" ماو" قد طوّر الاقتصاد السياسي للبناء الاشتراكي في الصين، وأنجزه، ناقدًا بعض مظاهر الاقتصاد السوفيتي في بناء الاشتراكية.وركزعلى تحريك مبادرة الجماهير، ودفع الإنتاج، ونشر برنامج السياسة الاقتصادية في صفوف الشعب، وليس عبرالأوامرالبيروقراطية. فلهذا ركّزعلى

(١٩) انجلز ١٩٦٥م، ص ٤٥.

الـربط بـين الثـورة وتطويرالإنتـاج، وصـاغ الشعارالشـهير:" القيـام بـالثورة مـع دفـع الإنتاج.

ب- وقد كان " ماو" قد أعد الأرضية اللازمة لتطـوير الديمقراطيـة الجديـدة، وذلـك مـن خـلال تطـويره لنقاطهـا الأساسـية الـثلاث، وذلـك بـ :أولًا: القضـاء علـى الإقطـاع بتطبيـق سياسـة "الأرض لمـن يفلحهـا".

ثانيًا: تأميم الهياكل الاقتصادية الأجنبية والوطنيـة ذات " الطبيعـة الاحتكاريـة".

ثالثًا: قيادة رأس المال الخاص ومراقبته وتحجيمـه حتـى" لا يسـيطرعلى وسـائل معيشة الشعب.[٢٠]

أما على مستوى الاشتراكية العالمية:

أ- لقد طوّرالرئيس " ماو " نظرية الطبقات مُحلّلا إياها على المستويات الاقتصادية، والسياسية، والإيديولوجية.

ب- وضع العنف الثوري كقانون عالمي دون استثناء، والثورة كإحلال عنيف لطبقة محلّ طبقة أخرى، و صاغ أطروحته العظيمة: " من فوهة البندقية تنبع السلطة السياسية".

جـ-جدّد بتألق نظرية صراع الطبقات في ظلّ الاشـتراكية، وطوّرهـا، وأوضـح أن الصـراع التنـاحري يسـتمرّ فـي ظـلّ الاشـتراكية بـين البروليتاريا، و البرجوازية، و بين الاشتراكية، والرأسمالية.

د- قـدّم الحـل العظـيم ذا الأهميـة التاريخيـة البالغـة، ألا وهـو الثـورة الثقافيـة البروليتاريـة الكبرى كمواصلة للثورة الاشتراكية في ظلّ دكتاتورية البروليتاريا.٢١

ثانيًـا- تجربـة " مـاو" التطبيقيـة لمنطـق جـدل المتضادات.

هي نموذج ناجح لتجاوز أيديولوجية قديمة- أسست للثبات، والجمود، والاستقرار الهش- إلـى اسـتراتيجية مغـايرة- ثوريـة، وتحديثيـة تؤسـس لصيرورة التغيير بحسب جدلية المتضادات، إنها تجربـة " مـاو تسـي تـونج " ومسـاهمته الفعلية مـن خـلال فلسفته العملية فـي نهضـة الصـين الشـعبية المعاصـرة، ومواجهتـه للمـد الشـيوعي و الجـذر الرأسمالي.

في عام ١٩٤٧م كان" ماو" أول زعيم صيني يقود الأمـة بإرادة كاملـة وسلطة مطلقة، وفـي عـام ١٩٤٩م، أعلـن " مـاو " تأسـيس جمهوريـة الصـين الشعبية. وبدأ " ماو" نضـالًا طويلًا من أجل إعادة بنـاء الصـين واتخذ لنفسـه ولدولتـه اتجاهًا اشتراكيًا خاصًـا[٢٢]، يرتكزعلـى التجمعـات السكنية الصـغيرة، وعارض بشدة محاولـة زملائـه من قادة الحزب فـي نقـل تجربـة الاتحـاد السـوفيتي للصـين، وفـي عـام ١٩٥٤م قـاد برنـامج الوثبـة الكبـرى للأمـام، وهـو

(٢٠)شـادى الشـماوى : مسـاهمات " ماوتسـى تـونج " فـى تطـوير علم الثورة البروليتارية العالمية (مقتطفات من كتاب – علم الثورة البروليتاريـة العالميـة : الماركسـية-اللينينيـة-الماويـة)، ١٧ / ٢ / ٢٠١١ م ،عـــــــــــــــــــــن http://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=24638 2&t=4

(21)http://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=246382 &t=4

(22) Nick Knight: "Mao and History: Who Judges and How? ", The Australian Journal of Chinese Affairs, No 13, Jan, 1985, pp 121- 136.

سلسلة من الطفرات الاقتصادية باء معظمها بالفشل. ثم أعلن الثورة الثقافية العمالية بهدف الإطاحة برؤوس المؤسسة الحزبية وأنصارها في كل المدن والقرى، و كان " ماو" قد انحرف عن تعاليم ماركس، فأتهمه الروس برغبته في شن حرب نووية، فرد بأنه يسعى لتكون الصين كقوة عظمى بالعالم الثالث [٢٣]. وقد حقق هدفه بالفعل.

ولكي نتعرف على الوسائل التي مكنت " ماو " من بلوغ هدفه، والوصول بالصين إلى ما هي عليه الآن، وخروجها على يده من بوتقة النموإلى مصاف الدول المتقدمة، قد يحتاج بحثنا هذا إلى عدة مجلدات ليفي بكل تفاصيل تلك التجربة الرائدة، لذا سنكتفي بأهم المفاهيم والأفكارالتي طورها عن" المادية الجدلية عند ماركس "، التي شكلت ملامح المنطق الجدلي عند " ماو"، الذي أسهم بتطبيق فكره في نهضة الصين المعاصرة، فأهم تلك الملامح سنلخصها في النقاط التالية:

١– المظاهر الأساسية لحياة " ماو" وفكره: [٢٤]

أولًا: الوطنية العارمة والنزعة القومية القوية، كباقي أفراد الشعب الصيني الذي يعتز بعنصره، ويؤمن برسالته الحضارية، مما كان له شديد الأثرعلى آراء" ماو" وتمسكه بالأسلوب الثقافي التقليدي للصين، فبالرغم من إيمانه العميق بمبادئ " لينين "، وبالآراء الماركسية الأساسية، إلا أن دعائم فكره تستند على التقاليد الصينية العريقة، التي تنحدر من منابعها تياراته الفكرية.[٢٥]

ثانيًا: الروح النضالية التي تُسيره فكريًا وعمليًا، وانعكاس ذلك على تاريخ الصين الحديث الحافل بمآسي تدخل الإمبريالية الغربية في شئون الصين، ومن جهة أخرى كفاح الحزب تحت قيادة " ماو" لتسنم زمام الحكم، وأخيرًا انعكست تلك الروح على سياسة الصين الداخلية، والخارجية.

ثالثًا: إجلاله للأفعال المنبعثة عن الضميرالإنساني،والتي تُسيرها رغبة الإنسان في تأدية واجبه طواعية، من منطلق الإحساس بالمسؤولية، واستنكاره لقيام الفرد آليًا بتنفيذ أعماله، وواجباته، وكان مرد ذلك للخُلق الصيني الوديع المشهور بتسامحه، ولأقوال فلاسفته العظام.[٢٦]

رابعًا:الأهمية القصوى للمادية الجدلية في فكر" ماو"، وتطبيقاتها السياسية في اتجاهات الصين الحديثة، وليس مصدر مادية" ماو" الجدلية فقط تأثره بمؤلفات كل من" ماركس"،و" إنجلز"، و" لينين"، و" ستالين"، ولكن التأثيرالأول والأعمق للفلسفة، والأدبيات الصينية الكلاسيكية، وللخبرات التي كونتها تجارب" ماو" العملية.

(23)ar.wikipedia.prg/wiki/

(24)Brantly Womack, : " The Foundations of Mao Zedong's Political Thought 1937 – 1935", University Press, Hong Kong, 1983, pp 17 – 19.

(٢٥)فؤاد محمد شبل: " حكمة الصين – دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور " مكتبة الدراسات الفلسفية، ص ٢٧٢

(٢٦) المرجع السابق.

وإن كان للمادية الجدلية تفسيران مختلفان إلا أنهما يظلان متصلين في فكره، وتطبيقه العملي، وهما:

التفسيرالأول: يراها طريقة للتفكير ،ووسيلة للاستدلال الجدلي على صحة الوقائع الذهنية أوخطئها(وهنا نجد تقارب المادية الجدلية عنده من الفلسفة البرجماتية).

التفسيرالثاني: طريقة لتفسير حقيقة الوعي والشعورالبشري وفقًا للمادية الجدلية،أي كفلسفة تفسر صيرورة الحياة.[٢٧](وهنا يتفق فكره من الفينومينولوجيا بتطبيقها على الواقع، في دمج بديع وموفق مع أسس ومبادئ الفلسفة الحيوية).

٢– سمات المادية الجدلية الماركسية.

١– إن أي ظاهرة طبيعية لا يمكن فهمها بمفردها أوبمعزل عن الظواهرالمحيطة بها، بمعنى يمكن تفسيرأي ظاهرة إذا درست متصلة بالظواهرالمحيط بها.

٢ – تتطلب الطريقة الجدلية التأمل، وإمعان الفكر في حركة الظواهر، وتغيرها، وارتقائها، وزوالها.

٣ – تُحتم الطريقة الجدلية أن ينظر إلى عملية الارتقاء على أنها ليست حركة في دائرة، أو أنها مجرد إعادة لما قد حدث فعلًا، ولكن على أنها حركة للأمام صاعدة من البسيط إلى المركب، وصعود من الأدنى إلى الأعلى.

٤– تتمسك الطريقة الجدلية بأن مسارعملية الارتقاء تُحدده مظاهرصراع المتضادات،أي: أن الارتقاء نتيجة لتصارع الأضداد.

٥– تؤمن المادية الجدلية الماركسية باستقلال المادة، والطبيعة، والوجود عنا؛ لأنها حقائق موضوعية خارج نطاق عقولنا، فالمادة سابقة على عقولنا؛لأنها مصدر الأحاسيس والأفكارالتي هي انعكاس للمادة، والفكرأوالذهن منبثق عنها كنتاج لتطورها في أعلى درجات تطورها، لذا فمن الخطأ الفصل بين الفكر والمادة.

٦– الحياة المادية للمجتمع(الوجود المادي) حقيقة موضوعية مستقلة عن إرادة أفراده،وما الحياة الروحية إلا انعكاس لهذه الحقيقة الموضوعية التي يحددها الوجود المادي .[٢٨]

٣– موقف" ماو" من المادية الجدلية.

١– قرر"ماو" أن للطريقة الجدلية أصولًا في التراث الصيني قبل ظهورها في اليونان القديم وعند" هيجل "، فكتب عام١٩٤٠م مطالبًا بالاستعانة بالمؤلفات،والثقافة الصينية القديمة لإقامة نوع من المادية الجدلية صادرة عن القومية الصينية .

٢– مفهوم "ماو" للمادة يجعلها شيئًا، واضحًا مستقلًا عن إرادة الإنسان ومعرفته، ويركز" ماو" جميع آرائه الفلسفية على معرفة

(٢٧) المرجع السابق: ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(28)Mao Zedong" on Dialectical Materialism: Writing on Philosophy, 1937 ", Selection, English, Edited by: Nick Knight, Copyright – c – 1990 by M.E. Sharpe, I n c, printed in United States of America, pp33–39.

الإنسان في حد ذاته، وخصوصًا على العلاقة التي بين المعرفة والتجربة كخبرة.

٣ – يرى " ماو" ضرورة أن تتسم المعرفة بالمظاهر الستة التالية:

الأول:رفض تأثير العوامل الأيديولوجية البحتة لأنها نسبية ومتغيرة.

الثاني:الاعتقاد القوى بأن فلسفته الذاتية هي انعكاس لحقيقة موضوعية.

الثالث:الاعتقاد بأن الحقيقة ليست مطلقة،وليست سلبية، وغيرثابتة، فإنها دائمًا متجددة ومتفاوتة،فهي تتجدد من داخل الحقيقة الخارجية، وتتضمن باستمرار مظاهرمتضادة. تلك وجهة نظر صينية بحتة،غير متأثرة بالنظرة الماركسية.

الرابع: بما أن الحقيقة ليست مطلقة، فهذا يُعلي من شأن التجربة، ويؤكد على ضرورة الاختبار ،ويُبرز خصوصية التطبيق،وأهمية آلياته للكشف عن مدى صلاحية(أوموائمة)نظام محدد (أو أيديولوجية معينة) لمجتمع دون غيره.

الخامس: الاعتقاد بأن التطبيق هوالطريق السوي المؤدى للحقيقة، وأنه يضمها بين ثناياه.

السادس: تقبُّل حدود التطبيق والتجربة في صورة التحوّلية (التحويل المستمر) المطلقة ليس إلا.[٢٩]

٤– مشكلة المفاضلة بين المادة و الفكر.

أيهما أسبق وله الصدارة: الوجود أم التفكير، المادة أم الفكر؟ تلك مشكلة فلسفية قديمة، ولكنها كانت نقطة البداية في فلسفة " ماو "، الذي يقررأن المعرفة تبدأ بالتجربة، وترقى للمستوى النظري عبر التطبيق، ثم تعود من المحيط النظري إلى التجربة وهكذا. ولذا يؤكد " ماو " على ضرورة إخضاع جميع النظريات للتجربة بالتطبيق، لإنكاره المذاهب المثالية، والفلسفات التجريدية. ويتفق " ماو" مع " ماركس " بسيادة الاتجاه الخاص على الاتجاه العام– أي: بحث الظاهرة الجزئية والانتهاء منها بوضع قانون يصدق على جميع الظواهر المماثلة– لا العكس؛لأن الاتجاه العام– أي: بحث الظواهرالجزئية من خلال قاعدة عامة (أونظرية) شاملة أو مطلقة– هو مجرد مظهر للاتجاه الخاص؛ لأن الاتجاه العام ما هو إلا مظهر(للتجريد) يتولد في ذهن الإنسان، و ليس جزءًا من الحقيقة (الموضوعية) بالخارج . ويُطبق " ماو " رأيه هذا على الماركسية فيراها نافعة، ولكن نفعها ليس مطلقًا، وليست فائدتها مجردة؛ لأن النظرية الماركسية لدية مجرد وسيلة للتثقيف، وأداة تُستخدم لتغيير الواقع، فهي نافعة فقط عندما يظهر(أو يثُبت) التطبيق نفعها، لأنها تُعلم فقط طريقة العثورعلى أساليب العمل في بنية التطبيق، وفي محيط العمل تمهد– بواسطة التطبيق الطريق لمعرفة الحقيقة .[٣٠]

٥– أهمية التجربة في منهج " ماو ".

(٢٩) شبل : ٢٧٥.

(30) Mao: 1990, p40.

قد تأثر"ماو" بالتراث الصيني في مناهضة " المثاليــة" وبُغــض التزمــت(أي:برفض التمســك المتطرف ضيق الافق) فـي سلوك سبيل معين لبلـوغ المعرفـة؛ ذلـك لأن "المعرفـة" و"الحقيقـة" مجرد فكرتين تعكسان فـي الذهن صـورة حقيقـة موضـوعية بالخـارج. وعلـى أي حـال لا تتطـابق الصــور الذهنيــة مــع الموضــوعات الخارجيــة تتطابقًـا تامًـا أبـدًا، ومـن ثـم لا تتماثـل الصـور المنعكسة في الذهن مع أصلها الخارجي تماثلًا تامًا. فالحقيقة أكثرتشابكًا، وتعقيدًا من انطباعات الإنسان الفكرية عنها، وإن الشعوروكل ما ينتج عنـــه (كـــالإرادة، والانطباعـــات، والأفكـــار، والنظريــات ...) أمــور محــدودة تُكبــل المــادة حركتهـا. فعلـي العكـس مـن " الماركسـية " التـي تـرى أن الوجـود يُعـيّن الشـعور، يـرى " مـاو" أن المـادة هـي الحقيقـة، وأنهـا تقـع خـارج متنـاول الإنسـان وبعيـدًا عـن إرادتـه، فالمـادة هـي أضـخم مـن أن يستوعبها الإنسـان مـن أول وهلـة، بـدليل أن المادة هي التي تحُد نشاطه الفكري، وتحبسه داخل مجال ظاهري لا يتجاوزه.

لهذا يُعد" ماو" جميع الحقائق المَقررة أمورًا نسبية، مما يعنى عدم الثقة المطلقة (أوالدائمة) في أي حقيقة.وهذا يُفسرلنا الأهمية القصوى التي يُوليها"ماو" للتجربة، فليست التجربة هي مقياس جميع الحقائق الذهنية فحسب؛بل مصدرالحقائق بأسرها، وهذا يوضح تأثر"ماو" بالتراث الثقافي الصيني، فهناك مثل صيني مأثور يقول: (إن كنت تلتمس المعرفة؛ فيجب أن تُسهم في تجربة تغيير الحقيقة، فإذا كنت ترغب في معرفة مذاق الخوخ؛ فيجب تغيير شكل الخوخ بأن تأكله بنفسك، وإذا أحببت معرفة تركيب الذرات، والإلمام بخصائصها، فيجب أن تقوم بعمل تجارب في الفيزياءوالكيمياءلتغيير الذرات). ولكن إلى أي حد يمكننا أن نستمرأو نتوقف عن التجارب لنقنع بما توصلنا إليه على أنه الحقيقة؟

يرى" ماو" ويؤمن بعدم وجود نهاية لتجاربنا ومحاولاتنا المستمرة للكشف عن الحقيقة؛لأن العالم الموضــوعي لــن يتوقــف عــن التغييرالمســتمر، وبالتالي لن ينقضي سعى الإنسان للحصول على المعرفـة عـن طريـق التجربة،هـذا علـى مسـتوى الإنسانية،ولكن على المستوى الفردي يرى " ماو" أن في كل حالة ذاتية هناك حدًّا موضوعيًا لتعلُم الحقيقة، يوصلنا إلى قوانين موضوعية مؤكدة، لا يُجدى بعدها إجراء أى تجارب إضافية. وفي كثير من الأحيان يستلزم الأمر معاودة الإخفاق مرات عديدة، قبلما يتم تقويم المعرفة المُشوشة وجعلها (تعبرعن أو) تتفق مع قوانين الطريقة الموضوعية، ومن ثم تتأتى إحالة الأفكار الذاتية (الداخلية)إلى حقــائق موضــوعية(أي خارجيــة)بمعنى نجــاح التجربة في تحقيق النتائج المنشودة. ويؤمن "ماو" أن التجربــة لا تمـيط اللثـام عـن الحقيقـة المرتقبـة فقط؛ بل تكشف كذلك عن المنحرف والخاطئ، لذا تستلزم نظريته عن المعرفة دفع التجربةوالاختبارإلى أقصى الحدود المُمكن.[٣١]

٦- قانون جدل المتضادات عند "ماو".

ثمـة إجمـاع بـين مؤيـدي ومعارضـي سياسـة "مــاو"،على أن أعظــم مــآثره الفلســفية تتبلــورفي

(٣١) شبل: ص ٢٧٧ – ٢٨١.

صياغته الجديدة لقانون "وحدة الأضداد"، أو"قانون عالمية المتضادات".

ماهيّة المتضادات:

إن اصطلاح" المتضادات" ليس غريبًا عن حياتنا اليومية،فعندما نتحدث عن تضاد في أخلاق شخص ما،من حيث تعارض سلوكياته، فنحددما بها من متضادات مثل(الشجاعة، والجبن)،و(الدماثة،والانحطاط)،و(الأنانية، والتضحية)،ومع ذلك نجد مناط(مآل) المتضادات الثابت هو اتحاد الأضداد، بحيث نجدها سمة طبيعية أصيلة جُبل عليها الشيء، أوالطريقة، أو العلاقة،في وضع يتعذر معه أن يعيش أحدهما بمنأى عن الآخر، ففي وحدة الأضداد تتماسك المتضادات في علاقة متبادلة الارتباط، يتوقف فيها وجود طرف على وجود نقيضه، فيصبح وجود كل منهما شرطا لوجود الآخر.وتنطبق وحدة الأضداد على الطبقات الاجتماعية،فالتضاد الطبقي بين العمال والرأسماليين يُمثل وحدة الأضداد التي يتعذر فضها، لأنها متضمنة في جوهر النظام الاجتماعي،الذي يستغل فيه الرأسماليون العمال، والعمال يعملون عند الرأسماليين.[٣٢]

وعن حالة تواجد الأضداد بهذا الوضع (أوالمجتمع) الذي يتسم بالتضاد، ينشأ ما يسمى بـ " تصارع الأضداد "، وعن تطور الأوضاع على مستوى المجتمع الرأسمالي ينشأ الصراع الطبقي، وفقًا للنظرية الماركسية التي يتفق هنا معها "ماو"، ولكنه يخالفهم حيث يرى " ماو"متأثرًا بقدماء فلاسفة الصين– أن قانون المتضادات هو قانون الطريقة الجدلية الأوحد الذي يغنى عن باقي قوانين الطريقة الجدلية، و ذلك على العكس مما ذهب إليه " هيجل " و توسع فيه الماركسيون من بعده، حيث يعدون قانون المتضادات هو القانون الرئيسي ضمن القوانين الأخرى للطريقة الجدلية.[٣٣]

٧– فلسفة المتضادات عند " ماو تسي تونج ".

تتميز فلسفة المتضادات عند" ماو" بثلاث نقاط هي:

أولًا: ترتكز فلسفته على فكرة عالمية (أوكونية) التضاد،كطابع لجميع الأشياء، والظواهرالمادية في الطبيعة، وفي المجتمع البشري، وفكر الإنسان.

ثانيًا: ليس التضاد قائمًا بين الأشياء، والظواهر، والأفكار فحسب؛ بل موجودًا أيضًا بداخل كل منها.

ثالثًا: تجد في تكامل (أووحدة) الأضداد ضرورة لا محيص عن وجودها.[٣٤]

ويُعد إسهام"ماو" ذو قيمة عالية بين أبحاث المادية الجدلية(شرقًاوغربًا)، وخصوصًا إضافته العبقرية؛ حيث تسليمه العجيب بتفاوت المتضادات،وبعدم توازن الأضداد،وعدم استواء مواضعها داخل المتضادات، وهذا يُعد سبقًا

(32)Mao:1968,p362-398.

(٣٣)شبل: ص ٢٨١-٢٨٣.

(٣٤) ماو تسي تونج: "في التناقض" (من مؤلفات مختارة لماوتسي تونج، عن دار الشعب يوليو ١٩٥٢م، المجلد الأول)، ترجمة سلامة كيلة روافد للنشر، مصر،٢٠١٤م، ص ٣، (١٧ – ٢٤).

يحسب لـ " ماو " يتفوق به على الغربيين، والماركسيين.[٣٥]

تركيب المتضادات وتحولاتها.

وهي الأشد تعقيدًا عند" ماو" عن غيره، من حيث:

١- أنه يفرق بين عمومية التضاد و خصوصيته، و بين شموله وتفرده .

٢- يفاضل بين تضاد رئيسي،وتضادات ثانوية أخرى عديدة داخل نفس الشيء أوالظاهرة، فجميع المتضادات غير متكافئة، وليست متطابقة في نفسها.

٣- وطبيعي أن لا يتعادل ميزان الأضداد داخل المتضادات (غيرالمتكافئة)،و فيما بينها، فتبعًا لحالة عدم التوازن هذه، يتم سريان الحركة إلى جميع الظواهر، والأشياء،والأجزاء على طريق يأخذ الشكل اللولبي في اتجاه واحد.٣٦

وعن افتراض تفاوت المتضادات وعدم استواء أجزائها، تصدر وجهة نظر "ماو " عن الطابع المشروط والموقوت لوحدة الأضداد داخل نطاق التضاد نفسه، ونجده يتوسع أكثر، فيؤكد أن الأضداد داخل أي تضاد تنزع لتحويل نفسها إلى شكل وهيئة من يخالفونهم من الأضداد، إذا ما تطرف التضاد إلى أقصى مداه.

ويعتقد" ماو" أن عملية التحوّل تتم عن طريق تحويل نوع إلى نوع آخر، وأن هذا التحول يتم نتيجة للتغيير في العلاقة الكمية بين أوجه التضاد الغالبة، وأوجه التضاد المغلوب على أمرها. وتتخذ الحركة في جميع الأشياء والظواهر أحد الوضعين :إما "السكون النسبي "، أو " التغير المطلق الواضح "، وأي منهما ينشأ عن طبيعة صراع عاملين متعارضين داخل الشيء ذاته (فإن كان الصراع متكافئًا ظهر السكون النسبي، و إن كان الصراع متفاوتًا أفرز التغير المطلق)، ويرى " ماو " أن جميع الأشياء يتغير شكلها من وضع " السكون النسبي " إلى وضع " التغييرالمطلق "، وهكذا يظل الصراع قائمًا بصفة مستمرة داخل الوضعين، وبين تضاعيف المتضادات، فليس هناك تضاد مستقر أو ثابت، و بالطبع يصحب (أو يلازم) التغيير الوصفي بداخله – إجمالًا– التغيّر الكمي، متناسبًا مع أجزائه المتصل بعضها ببعض.[٣٧]

ويضرب" ماو" على تغيير الوضع مثلًا، بتطور موضع " البروليتاريا " داخل المجتمع " البرجوازي "، من أقلية إلى أغلبية (تغير كمي)، فإن تم لها الفوز بمراكز القيادة في المجتمع، وأمكنها إشعال نار الثورة على " البورجوازية "، فإذا نجحت تغيرت صفة المجتمع تبعًا لموضعها الجديد (تغييرالوضع)، وهذا يشبه كثيرًا (أو ينعكس على) فكرة توازن القوى التي تسيطر على عقول الساسة عامة.[٣٨]

٨–" دكتاتورية " الشعب الديمقراطية.[٣٩]

(٣٥) المرجع السابق: ص ٣، ١٧، ٢٥.

(٣٦)المرجع السابق: ص ٧٢ – ٧٥.

(٣٧) ماو تسي تونج: " في التناقض"، ص (٤٧ – ٥٨).

(38)Mao:1990,p62.

(39) Vi,4,p355-373 Mao:1968,

يفرق" ماو" بين متضادات المجتمع الرأسمالي ومتضادات المجتمع الاشتراكي، فالمجتمع الرأسمالي تظهر متضاداته في العداء الضاري والتطاحن الحاد بين الناس بعضهم بعضًا، أي: في الصراع الطبقي الشديد، الذي لا يحل تضاده سوى ثورة اشتراكية. أما المجتمع الاشتراكي فمتضاداته تتمثل في علاقات الإنتاج والقوى الإنتاجية، وبين الجهاز الاقتصادي الأعلى والقاعدة الاقتصادية. و ينبغي بذل الجهد لحل هذه المتضادات وفقًا للظروف المحيطة بكل منها، و لا يعنى حل المتضادات نهاية أو زوال التضاد ، إذ لابد من انبعاث متضادات جديدة، فمثلًا: سعى سلطات الدولة القائمة على شئون التخطيط لحل التضاد القائم بين حجم الإنتاج، و احتياجات المجتمع، لابد لهذا السعي أن يستمر و يتواصل؛ لأن احتياجات المجتمع في تغيّر مستمرلا نهاية له، فإذا نجح سعى إدارة التخطيط في إيجاد التوازن(أي:وحدة الأضدادوحدة موقوته نسبية)؛ فسيختل هذا التوازن في نهاية العام، أي: ستتحول وحدة الأضداد إلى تنافر من جديد؛ لذا فالأمر يحتاج مواصلة و متابعة مستمرة؛ لمواكبة حركة التغيّر المستمرة للمتضادات .

ويؤمن" ماو" بوجود نوعين مختلفين من المتضادات التي تواجه أي مجتمع، النوع الأول: متضادات بين أعضاء الشعب(أي:فئاته) وبعضهم بعضًا،والثاني: متضادات مع أعداء الشعب (داخليًا: المناهضين لنظام الحكم، وخارجيًا: الدول المختلفة مع النظام الحاكم، أو المتنازعة معه)،وتبعًا لتلك التفرقة يرى"ماو" اختلاف طرق تسوية المتضادات، ففي حالة النوع الأول ينبغي وضع حد فاصل بين الصواب والخطأ، بين من هم على حق وبين الضالين، أما في حالة النوع الثاني فيجب تحديد الخط الفاصل ما بين الشعب وبين أعدائه.

ولحل متضادات المجتمع الاشتراكي يقدم"ماو" مفهوم أوفكرة مصطلح " دكتاتورية الشعب الديمقراطية "، وتضلع الفكرة بالمهام التالية:

المهمة الأولى: قمع الطبقات المُتسلطة أوالمستَغِلة في البلاد، تلك التي تناهض الثورة الاشتراكية، وبالقضاء عليها يتم حل المتضادات التي بين الشعب وعدوه الداخلي، ومثال ذلك إلقاء القبض على طائفة من المناهضين لنظام الحكم ومحاكمتهم، وتجريد ملاك الأراضي، والرأسماليين البيروقراطيين من حق التصويت وحرية الحديث، وكل ما تطلبه المحافظة على النظام، والتزام القانون، وصون مصالح الشعب، أي ممارسة الدكتاتورية على اللصوص، والمختلسين،والمخربين، والمرتشين، والقتلة والفتوات، وغيرهم ممن يعكر صفو النظام الاشتراكي.

المهمة الثانية: حماية البلاد من أي نشاط تخريبي، أوعدوان خارجي، فيكون على الدكتاتورية هنا واجب التصدي بشدة لذلك العدوان الخارجي، لحل تضاده مع الشعب.

ولكن من الذي يمارس الدكتاتورية؟ وضد من؟

يُجيب" ماو" بأن الطبقة العاملة هي التي تمارسها، كما يمارسها الشعب الذي تتزعمه هذه الطبقة بأسره، ولا يحق للشعب أن يمارسها على نفسه، كما لا ينبغي أن تجور طائفة على أخرى. ولذا نجده يقرر أن " دكتاتورية الشعب الديمقراطية " تستخدم منهجين:

الأول:بالنسبة للعدو(داخليًا أم خارجيًا) تستخدم الدكتاتورية.

الثاني:بالنسبة للشعب لا يستخدم الإرغام أبدًا؛بل يستعان بالأساليب الديمقراطية، كالوسائل المتصلة بالتعليم والترغيب، والتوعية، والتثقيف،والتفاهم بالحوار،والإقناع،التي تتضمن مساهمة الشعب في النشاط السياسي. [٤٠]

٩- دور التوعية في معالجة المتضادات.

يعتقد" ماو" بأن كفالة حرية الشعب تستوجب قيادة مركزية؛ لحفظ النظام في مقابل الفوضى، التي قد تظهر في ظل الديمقراطية، ويعتقد أيضًا أن نظام تعدد الأحزاب يحفظ"للبرجوازية دكتاتوريتها "، ويسلب الشعب حريته؛لأن الحرية والديمقراطية يجب أن تترعرعا في محيط الصراحة، ووضوح المقاصد والغايات؛ فالديمقراطية ليست غاية ولكنها وسيلة؛ ويقرر"ماو" أن الديمقراطية والحرية اصطلاحان نسبيان، يترعرعان في ظل ظروف تاريخية نوعية. فالديمقراطية لا يمكن فصلها عن المركزية، وكذا الحرية لا تُفهم من غير نظام، فالحرية والديمقراطية وجهان لذاتية واحدة: تضم الوحدة والتضاد معًا، وفي ظل التنظيم والمركزية يحظى الشعب بقسط أوفر من الحرية، والديمقراطية.والحرية تقتضي زعامة، وإرشاد تصدر من إدارة مركزية يدين لها الجميع بالطاعة المنبثقة عن الثقة والمحبة،لاالإجبار، والقمع، والقهر، أي يجب الاستعانة بالطرائق الديمقراطية لتسوية الموضوعات الأيديولوجية، باستخدام وسائل الإقناع،والحوار، والنقد، والترغيب، والتعليم، بعيدًا عن العنف؛ وللنقد والتوعية أهمية قصوى عند " ماو "، ولا يستثنى أي شيء من توجيه النقد حتى الآراء الماركسية ذاتها. [٤١]

وخير مثال على دور التوعية في معالجة المتضادات، نجاح الزعيم الصيني " ماو تسي تونج " في تعديل نظرة المجتمع الصيني إلى مفهوم الثقافة، والتعليم، وضرورة احترام العمل اليدوي، وهذا ما عبرت عنه صحيفة الشعب الصينية(عدد ١١فبراير ٩٦٠م)بقولها: (تتجه جهود الحزب إلى أن يقترن منهج التعليم بالعمل المُنتج،سيتحول طلبة المدارس إلى عمال يتصفون بالوعي الثوري مع استيعاب الأساليب العلمية المستحدثة، وسيتجهون لخدمة السياسة البروليتارية)،أما عن غاية السياسة التعليمية، فهي تعزيز أنواع المحبة الأربعة:(الوطن، الشعب، العمل، المعرفة) واحترام الملكية العامة، والمساهمة في التقدم الاقتصادي للبلاد، وتكوين نوع جديد من المواطنين، مثقفين ثقافة سياسية راقية بالإضافة إلى مهارتهم العملية، أي يقوم المجتمع الصيني العريق والناهض على العامل المثقف، أو المثقف

(٤٠) شبل: ص ٢٩٤- ٢٩٥.

(٤١)المرجع السابق: ص ٢٩٥ – ٢٩٧.

العامل، بحسب ما ذكرته صحيفة النجم الأحمر العدد– ١٧– ١٩٥٨ . [٤٢]

١٠– فكرة الثورة الدائمة لمعالجة المتضادات.

طبيعة المجتمع الصيني أنه يعج بالمتضادات الداخلية، والخارجية(بين الجديد والقديم، وبين مختلف عناصر التفكير الصيني، وبين النزعة القومية، وبين الرغبة في تَقلد زمام حضاري مرموق وسط المجتمع الدولي)، فعندما أراد " ماو " توحيد المجتمع الصيني، أتى بنظرية الثورة الدائمة من التراث الصيني(*)، حيث يرى بما أن الكون في حالة تغيّر مستمر، إذن ستستمر المتضادات قائمة (بين قوى الإنتاج، و علاقات الإنتاج) حتى بعد زوال الطبقات، ولا يتم تسوية تلك المتضادات إلا بسلسلة لا نهائية من التغيرات النوعية، تتمثل في إشعال عديد من الثورات المستمرة، والمتصلة الحلقات، فحتى إذا سيطر النظام الشيوعي فلا مناص من نشوء تضاد بين نمو قوى الإنتاج، و بين جهود الأفراد للمواءمة مع هذا النمو، فيحلّ هذا التضاد محل الصراع الطبقي السابق، و هكذا يستمر التضاد مصدرًا لتفريخ الثورات الأبدية المقبلة. وهذا عكس ما كان يرنو إليه " ماركس " لتحقيق مجتمع مستقر ثابت يستمتع فيه الكافة بكافة المتع (مرحلة الشيوعية). [٤٣]

الخاتمة وأهم النتائج البحث:

١– واضح أن النموذج الفلسفي التطبيقي" للماوية " يحتاج للمزيد من الجهود البحثية لتحليل جميع العناصر المكونة للتجربة الصينية، من أجل استخلاص أهم مبادئ وأسس معالجة الأزمات، وأهم القواعد " الماوية " لكي تتجاوز الأمم أزمات النمو، وكيفية تحقيق النهضة الحقيقية؛ لترتقي الدول النامية، لمستوى ومصاف الدول المتقدمة.

٢ – قد نحتاج للتحقيق العملي من أهم فرضياتنا (أن "الماوية" وجهود "ماو" التطبيقية، وما ابتدعه من مبادئه الثورية، التي اعتمدت على نظرية جدل المتضادات، هي السبب الحقيقي للنهضة الصينية المعاصرة الحالية)، وهذا ليس بالأمر العسير، ولكنه يحتاج لعديد من الجهود البحثية، والآليات التحليلية، والدراسات المقارنة – سواء التاريخية للصين أو لمقارنة بين الصين وغيرها من الدول المشابهة لها في الظروف الاجتماعية خلال العقود القليلة المنصرمة – لنستخلص بدقة أكبر، أهم العناصر التي ساعدت الصين الشعبية في نجاح تجربتها الثورية. لأننا على قناعة تامة بأن لكل تجربة اجتماعية خصوصيتها البيئية، مما يشكل بنية الظروف الأولية، والمتغيرة، والثانوية، والطارئة.

٣ – قد يحق لنا الزعم بأن هدف بحثنا قد تحقق بنسبة كبيرة، من حيث رصدنا وإظهارنا لأهم العناصر التي قامت عليها النهضة الصينية

---

(٤٢) المرجع السابق: ص ٣٠١.

(*) متأثرًا بفكرة (الين و اليانج) بمعنى (المد و الجذر) أو (السلب و الإيجاب) .

(٤٣) شبل– ٣٠٠.

الحالية، لأننا استنتجنا المبادئ والأسس " الماوية "، بالإضافة إلى إرادة " ماو " القوية للنهوض بالصين شعبًا ودولة، وقد جاء استدلالنا استقرائيًا، حيث كل استنتاج جاء نتيجة للتحليل الموضوعي للوقائع، والقرارات، والأفعال، والتطبيقات الفعلية، على كافة الأصعدة، والمجالات السياسية، والعلمية، والاجتماعية، والثقافية، والأخلاقية.

٤ – لا تُشير نتائج بحثنا فقط إلى أسس و مبادئ نجاح التجربة الخاصة بنهضة الصين المعاصرة؛ بل إلى ضرورة تبنى هذا النموذج بالتحليل الدقيق للوقوف على الأسباب الحقيقة لنجاحه، مع دراسة العوامل المحلية البيئية الأخرى، التي تكفل و تضمن نجاح تطبيقه إقليميًا وعالميًا، في حال تبنيه كنموذج شمولي يصلح– من بعد إدراكه بشمولية وفهم عميق– لتطبيقه على مجتمعات أخرى، تعانى نفس ما كانت تعانيه الصين قبل تطبيقها للمبادئ الماوية.

٥ – أهم ما يؤكد صحة فرضنا بأن "الماوية" هي أهم دعائم نهضة الصين المعاصرة، هو انتشار أفكار " ماو " إقليميًا، وعالميًا، وإن جاءت كمحاولات تحتاج إلى الكثير من الثقل والتعديل، مما لا يتأتى بالفعل إلا عن طريق البحث المستمر؛ لتقصي المكونات الطبيعية، والبيئية لكل مجتمع، فمثلًا قد تفتقد التطبيقات الإقليمية[٤٤] لفكر " ماو " إلى التأصيل بينها وبين تراث وثقافة المجتمعات المراد تطبيق " الماوية " عليها؛ لكي تحقق نفس النجاح المرجو منها.

٦– تعد الفلسفة " الماوية " متسقة تمامًا مع الفلسفة البرجماتية؛ بل وهي بالفعل فلسفة تطبق المبدأ النفعي، حيث جميع مبادئها هي لتغيير الواقع، ومواجهته، وتوجيهه، من بعد الكشف عن قوانينه، وفهمها مليا بإدراك طريقة عملها واقعيًا، وطبيعيًا، من خلال تحليل الواقع بشتى تغيراته.

٧– انطلاقًا من نتائج تطبيقات "ماو" لفلسفته ينبغي علينا توجيه الأبحاث الجديدة، في اتجاه تطويرنا لأفكاره؛ لأنه هو من أسس لفكرة الثورة المستمرة (المتجددة)، لمواكبة نتائج تحليله لمبدأ جدل المتضادات على الواقع، حيث كل حالة موازنة بين المتضادات (كحالة استقرار مؤقتة)، يعقبها حتمًا حالة تضاد جديدة.

---

(٤٤) فنجد في الهند الحزب الشيوعي الهندي " الماوي" (هو حزب سياسي عسكري يهدف كبقية الماويين إلى قلب نظام الحكم في الهند). وقد تأسس بتاريخ ٢١ سبتمبر من عام ٢٠٠٤م، من خلال اندماج الحزب الشيوعي الهندي (ماركسي لينيني) مع تيار حزب الشعب، والمركز الشيوعي " الماوي " في الهند (MCC) ، وتم الإعلان عن الاندماج في ١٤ أكتوبر من العام نفسه. وقد انتخب" تشارو مازو مدار " أمينًا عامًا له، وتبنى الحزب الجديد فكر " ماو " مشكلًا بذلك أحد أهم الأحزاب الماوية على مستوى العالم.

وغيره في إقليم النيبال في العام ١٩٩٦م انطلقت شرارة حرب شعبية مسلحة يقودها الحزب الشيوعي الماوي في النيبال بقيادة زعيمه "بوشبا كمال دهال " المعروف بـ (برجندا) وتعني المرعب حتى عام ٢٠٠٦م، حين توصل إلى اتفاقيات سلام مع الحكومة إ لإلغاء الملكية في النيبال، وإقامة الجمهورية بعد ٢٦٠ عامًا من حكم الملكية. وغيرها في تركيا، والبيرو، وأفغانستان.

٨- ينبغي علينا اقتفاء أثر" ماو " في تجربته، حيث بحث عن جذور للمادية الجدلية في التراث الصيني: لكي يؤسس لفكره أصول تعتمد على الثقافة الصينية، وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما سهل مهمة " ماو " عند تطبيقه لفكره على المجتمع الصيني، من حيث توحيدهم حوله بإرادة واحدة، وقناعة قوية بضرورة التقدم، ورغبة في النجاح والوصول، وعزيمة، وتصميم على إحداث تغيير جذري على جميع المستويات معًا (من الإنتاج إلى الأخلاق، والتعليم، والثقافة وغيرها).

٩- يجب على الأبحاث المقبلة تطويرفكر" ماو تونج" التجاوزي: بأن تأخذ في اعتبارها أهم التغيرات التي طرأت على بنية المجتمعات المعاصرة، مثل نتائج التحديث، وما بعد الحداثة،والعولمة، وأحدث تطورات مناهج العلم المعاصروالنظريات العلمية المستجدة مثل النسبية، والاحتمالات، وأخيرًا، نظرية الاحتمالات المشروطة(الاشتراطية) Conditional probability theory)

١٠- خلاصة تجربة " ماو" : إن أهم ما يميز الصين الآن ليس أنه نموذج ناجح لتطبيق مبادئ " الفلسفة الماوية " ؛ بل لكونه نموذجًا مختلفًا يهتم بالوعى الجماعي، وبالتركيز على اشتراكية الواجبات، والمسؤوليات، والعمل، ويؤمن بشيوعية العلم والثقافة، والعطاء، و لهذا نجحت نهضة الصين بعيدًا عن مبادئ الاشتراكية النظرية وشيوعية الممتلكات، تلك المبادئ التي فككت الاتحاد السوفيتي السابق، لأنه أهتم فقط بالنظرية، وركز على نتائجها الاشتراكية، ساعيًا لتحقيق المرحلة النهائية (الشيوعية)، دون ما يهيئ المجتمع الروسي، أو يتدرج به لتلك المرحلة (المستحيل بلوغها عمليًا)، ولم يفطن النموذج الروسي لقصور التطبيق النظري لتلك المبادئ، على العكس من نموذج " ماو " الصيني الذي بدأ بالمقدمات الضرورية، وحدد هدفه، ووسائل بلوغه. وهذا هو سبب نجاحه (أي عندما أسس اشتراكية الواجبات، والمسؤوليات، وشيوعية العلوم، والثقافة)، وأيضًا بما لوعيه الجماعي من إرادة قوية، وعزم شديد على تحقيق أهدافه، وإصرار على بذل الجهد لتحقيق النجاح والحفاظ عليه، من خلال المشاركة الجماعية (حكومة، ومحكومين) كإرادة واحدة في عملية إدارة جميع شؤونهم (من نهضة، إلى تعليم، واقتصاد، وسياسة) معًا.

١١- و في النهاية نؤكد أننا بالرغم من إعجابنا الشديد بنموذج الزعيم و الفيلسوف الصيني " ماو تسي تونج "؛ إلا أن هذا لا يعنى بالطبع موافقتنا على كل ما جاء به، فمن المؤكد أن لنا كثير من التحفظ، والاختلاف معه، خصوصًا في كثيرًا من الأمور التي تمس هويتنا الثقافية، ومعتقداتنا، ولكنه سيظل نموذجًا ناجحًا صالحًا لأن نعتبر من تجربته، ونتعلم منه كيف نصوغ منطقًا، أو

فلسـفةً تُلائـم مشـكلاتنا، وتلبـى حاجاتنـا ومتطلباتنا المعاصرة– كمجتمع يبحث عن اسـتراتيجية يتجاوزبهـا تسـلط أيديولوجيتـه التقليديـة لعجزهـا عـن حـل مشـكلاته أو تحقيق طموحاته– ، لا أن نقتفي أثره .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا -المصادر الأجنبية:

1. Mao Tse-Tung: “Problems of Strategy in China's Revolutionary War”,1936, Beijing,1968, ", University Press, Hong Kong, 1983.
2. Mao Zedong " on Dialectical Materialism: Writing on Philosophy, 1937 ", Selection, English, Edited by: Nick Knight, Copyright – c – 1990 by M.E. Sharpe, I n c, printed in United States of America.
3. Jacques Derrida : “ Positions ” trans.Alanbass(Chicago:niversit y of Chicago Press , 1981
4. Chiang Kai-Shek:“Soviet Russia In China: A Summing-Up At Seventy”, Cudahy, Edition.

ثانيًا -المصادر المترجمة:

٥. مـــاو تســـي تـــونج: "فـــي التنـــاقض" (من مؤلفات مختارة لماو تسي تونج، عن دار الشعب يوليو ١٩٥٢م، المجلد الأول)، ترجمـــة ســـلامة كيلـــة روافـــد للنشـــر، مصر،٢٠١٤م.
٦. مـاو تسـي تـونج: " حـول التنـاقض " مـن مجموعـة المؤلفـات المختـارة – المجلـد ١– الطبعة العربية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ،عام ١٩٦٨م.
٧. فريـدريك أنجلـز:" أنتـي دوهرنـغ " الطبعـة العربيـة، ترجمـة فؤاد أيـوب، الطبعـة الأولـى، ١٩٦٥م.

ثالثًا -المراجع الأجنبية:

8. Brantly Womack,: " The Foundations of Mao Zedong's Political Thought 1937 – 1935.
9. Stuart Reynolds Schram: “The Thought of Mao Tse-Tung” CambridgeUniversity,Press,1989.
10. K.T.Fann:"Mao and the Chinese Revolution in Philosophy ", studies in Soviet thought,Dordrecht–Holland: June1972, Volume.
11. Nick Knight: "Mao and History: Who Judges and How? ", The Australian Journal of Chinese Affairs, No 13, Jan.

رابعًا -المراجع العربية:

١٢. فـؤاد محمد شـبل: " حكمـة الصـين– دراسـة تحليليـة لمعـالم الفكرالصـيني منـذ أقـدم العصور" مكتبة الدراسات الفلسفية.
١٣. عبد العزيز حموده: " المرايا المحدبة من البنيويـة إلـى التفكيـك " سلسـلة عـالم المعرفة، العدد (٢٣٢)، أبريل ١٩٩٨م.
١٤. ميجـان الرويلـي:" قضـايا نقديـة مـا بعـد بنيوية " النادي الأدبي بالرياض، ١٩٩٦م.
١٥. نجيـب بلـدي:" دروس فـي تـاريخ الفلسـفة "الهيئـة العامـة المصـرية للكتـاب، القاهرة،١٩٧٨م.

١٦. علي عبد المعطى: " اتجاهات الفلسفة الحديثة " دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، عام ١٩٩٣ م.
١٧. محمود زيدان: " كنط وفلسفته النظرية " ط ٣، دارالمعارف بالإسكندرية، عام ١٩٧٩م.

خامسًا -المواقع الالكترونية:

18. http://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=246382&t=4
19. ar.wikipedia.prg/wiki/